المساجد والاسواق بمدينة الموصل في ضوء كتاب بلدان الخلافة الشرقية

(Mosques and Markets in the city of Mosul in light of the Book the countries of the Eastern caliphate)

م. د. ياسمين عباس مطلك

الجامعة العراقية / كلية العلوم الاسلامية / قسم اللغة العربية

DR. Yasmin Abbas Mutlaq

Iraqi university /college of science Islamic

Department of Arabic Language

yasmin.a.mutlaq@aliraqia.edu.iq

مُلَخّصُ البَحث

ان لدراسة الجانب الحضاري (المساجد) والجانب الاقتصادي (الاسواق), وتبعاً لرؤية لسترنج, هي ربط مدى فاعلية المساجد وارتباطها بالسوق لان السوق يعد النواة الاقتصادية للحياة في كل مدينة, وكذلك الكشف عن ايديولوجية لسترنج في الاشارة بكل مادة علمية بكتابة الى وجود العنصر المسيحي , الذي كانت بصماته واضحة فيه.

الكلمات المفتاحية : الموصل ، لسترنج، المساجد، الأسواق ، الفتح الاسلامي .

المقدمة

تكتسب الدراسات التمدنية اهمية خاصة في التاريخ, فتضفي على المؤرخ معرفة جوهرية, وتكمل عمله او ابحاثه التاريخية, فاحتلت دراسة المدن او الامصار الاسلامية الاولى, التي انشأتها دواعي الفتح الاسلامي, حيزاً كبيراً في الدراسات التاريخية, فانبرى لها المستشرقون بالفحص والتدقيق والتحليل, ومن بينهم المستشرقون الالمان والفرنسيين, والانكليز, فوضعوا بين ايديهم تراث الشرق, ودرسوا بدقة متناهية وكان على رأسهم المستشرق الانكليزي كي لسترنج, الذي درس على يد علماء فرنسيين, وامتلك ملكية فكرية, اتاحت له الاطلاع على تراث الشرق ودراسته, فوضع كتابهُ «بلدان الخلافة الشرقية», , الذي درسنا جانباً مهماً منه, الا وهو الجانب الشمالي الغربي من العراق «الموصل» من ناحية مساجدها واسواقها, فتناولنا دراستها بالوصف الجغرافي, والسرد التاريخي مع اعطاء بعض الآراء عليها

Abstract:

Civilization studies are of special importance in history , as they provide the historian with essential knowledge, And they complete his work or historical pub , so the study of art or the first Islamic countries , which were established by the motives of the Islamic conquest, differed qreatly in historical stadies, so the orientalists were pleased with examination , scrutiny and analysis, among them the German, French and English orientalists, so they placed among their children the times of the East , and studied them with precision from a gift and at their head was the English slave key at- streen.

نبذة عن حياة المستشرق كي لسترنج, ووصف منهجه

شهد منتصف الخمسينات من القرن الثامن عشر الميلادي ولادة الباحث والمستشرق الانكليزي كي لسترنج Guy Lestrange , في مدينة هنستنتن هل بانكلترا, في سنة ١٨٥٤م, وامضى وقتاً طويلاً من حياته خارج بلاده, فعاش في باريس عاصمة فرنسا, التي بناها الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٨١٤-٩٦٣م), الذي حكم الاندلس واعلن الخلافة الاموية فيها سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م وعندما سقطت اغلب المدن الاندلسية بيد الاسبان اتخذها ملك اسبانيا (فيليب الثاني), عاصمة لفرنسا سنة ٩٦٩هـ, وعرفت فرنسا بمدرستها الاستشراقية المعادية للإسلام, وتطلع مستشرقوها الى شمس الشرق المعرفية, وبلورة معرفتهم باللغات الشرقية ومنها العربية والعبرية والكلدانية(١).

تكمن ايديولوجية لسترنج, في تعلم اللغتين الفارسية والعربية على يد المستشرق الفرنسي موهل Julian mohl, وحضر ايضاً في باريس دروس المستشرق ستانسلاس كويار Stanlislas Guyard في اللغة العربية, فحفزته هذه الدراسات السفر الى بلاد فارس والاطلاع على تراثها وحضارتها(٢).

وبرزت الاعمال الادبية في ترجمة تراث الشرق للمستشرق لسترنج, في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي, وبالتحديد في سنة ١٩١٥م, من خلال ترجمته للقسم الجغرافي من كتاب «نزهة القلوب», لحمد الله المستوفي القزويني.

ان أجّل الميادين التي برز فيها لسترنج, ورفعته الى مصاف كبار المستشرقين, كان في ما ألفه من كتب في الجغرافية التاريخية للبلاد الاسلامية الشرقية, فقد نشر في سنة ١٨٨٦م, ترجمة لكتاب المقدسي, «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم», و اقتصر في ترجمته لهذا الكتاب عن الجزء الخاص بفلسطين».

وفي سنة ١٨٩٠م, نشر كتابه بعنوان «فلسطين في عهد الاسلام»(٣).

يبدو ان لسترنج متأثر بالمدرسة الاستشراقية الفرنسية المناهضة للإسلام, والتي انطلقت من ارض فرنسا, او ما يسميها المؤرخون المسلمون «ببلاد الافرنج», فكرة الحروب الصليبية لاستعادة

(١) زقزوق, محمد حمودي ,الاستشراق والخلفية الفكرية ,ط(القاهرة ,مؤسسة الرسالة,١٩٨٥م),ص٢١.

(٢) كوركيس عواد وبشير فرنسيس, مقدمة الترجمة لكتاب بلدان الخلافة الشرقية, ص٦.

(٣) مقدمة المترجم, ص٧.

فلسطين او اورشليم (القدس) ٤٨٩-٦٩١هـ, وتبين ذلك جلياً من خلال ترجمته الجزء الخاص بفلسطين من كتاب المقدسي, والاكثر من ذلك توضحت نزعته القومية من خلال ما كتبه في كتابه «فلسطين في عهد الاسلام», الذي اصدره قبل اربعين سنة من احتلال اليهود لأرض فلسطين, لكونه انكليزي الاصل, وفرنسي الجنسية, متأثر بأفكار اساتذته الفرنسيين.

ثم اصدر في سنة ١٩٠٥م, كتابه «بلدان الخلافة الشرقية», الذي احدث ثورة في الدراسات الجغرافية التاريخية, والذي نحن الان في صدد دراسته, واخذ جانب من احدى المدن العراقية التي وصفها, الا وهي مدينة الموصل وقبل الخوض في وصف هذا الكتاب, وتفنيده لابد من الاشارة الى اهم الاعمال التي نشرها لسترنج ومنها مجموعة مقالات وبحوث في الجغرافية التاريخية لبلاد الاسلام, نشرها في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية, منذ انتخابه عضواً فيها سنة ١٨٨٠م.

تميز لسترنج, بأنه انجز جميع هذه الاعمال الجليلة وهو يعاني ضعفاً شديداً في بصره آل به المطاف الى العمى في سنة ١٩١٢م, ولم يحل العمى دون مواصلة نشاطه العلمي, فكان يلجأ الى من يقرأ ويكتب له, والتف حوله الكثير من الاصدقاء والمعجبين, وكان اقرب اصدقائه المستشرق الكبير الفيلسوف براون Browne توفي لسترنج في كمبرج ٢٤ كانون الاول ١٩٣٣م, عن عمر ناهز الثمانين عاماً[١].

وصف منهجه:

يتكون كتابه «بلدان الخلافة الشرقية», من اربع وثلاثين فصلاً, رتب فيه اسماء البلدانيين على حسب زمن تصانيفهم, واهتم بفهرسة اسماء البلدان والاشخاص والاقوام والعمران على حسب الحروف الابجدية, ووضع لنا الخرائط الجغرافية للمدن الاسلامية الشرقية وذكر فيها مواقع المدن, وتسمياتها القديمة والحديثة.

اما منهجه في التدوين, فقد اتسم بالوصف الجغرافي للمدن, ودراسة تركيبتها الديموغرافية من حيث طبقات السكان, وفي كل مدينة يركز على المسيح, فقد تبين لنا ذلك من خلال قراءة مادته المتعلقة بمدينة الموصل بقوله: «والغالب على اهلها النصرانية» وهذا يؤكد ايديولوجيته التي لم يستطيع التخلي عنها وانبثقت عنها عاطفته الدينية انه استمد مادة بحثه من كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين, التي دونها في هوامش طيات اوراق كتابه, بحيث كان اميناً في نقلها, وامتاز

(١) مقدمة المترجم, ص٧.

اسلوبه بالدقة في الوصف, وهو في منهجه يبدو متأثراً بالبلاذري (ت ٢٧٩هـ), الذي عرف بكتابه المشهور «فتوح البلدان», ويتميز بأنه موسوعة تاريخية جغرافية اجتماعية, لم يقتصر على تصوير الفتوحات الاسلامية في الشرق, بل تعداها الى وصف المدن وتركيبة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم, فحذا المستشرق لسترنج حذوهُ في ذلك.

تبين لنا من خلال قراءة كتاب «بلدان الخلافة الشرقية», الى ان المستشرق وصف المظاهر العمرانية, والحياة الاقتصادية منذ العهود القديمة والفتح الاسلامي حتى عهد تيمور المغولي.

الموقع الجغرافي لمدينة الموصل:

تقع مدينة الموصل في الجانب الغربي من نهر دجلة(١) وشمال شرق الجزيرة الفراتية(٢), وتقابلها من الجانب الاخر نينوى, على الضفة الشرقية من نهر دجلة(٣), ويرتبطان بجسر قائم على دجلة(٤), وفي جنوبها يصب نهر او رافد الزاب الصغير المتفرع من نهر دجلة, عند مدينة اشور القديمة(٥), ويبلغ طولها (٨٢٨٠كم), وعرضها (٤٠٨٠كم), وتعلو حوالي (١٠٦م), فوق مستوى سطح البحر(٦).

اسمها:

تضاربت الاراء حول اسم مدينة الموصل, وذكروا بأن اسمها قديم, نسبةً الى مؤسسها راوند بن بيوراسف الازدهاق(٧).

---

(١) لسترنج, كي, بلدان الخلافة الشرقية, تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد, ط٢ (بيروت, مؤسسة الرسالة, ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م), ص١١٥؛ ناجي, عبد الجبار, دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية, ط٢, (بيروت, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, ٢٠٠٩م), ص٣٨١.

(٢) الصائغ, القس سليمان, تاريخ الموصل, ط (مصر, د.ت), ج١, ص٣٤.

(٣) ابن جبير, ابو الحسين محمد بن احمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م), رحلة ابن جبير, ط (بيروت, دار صادر, د.ت), ص٢١٠.

(٤) الادريسي, ابو عبد الله بن ادريس الحسين (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م), نزهة المشتاق في اختراق الافاق, ط١ (بيروت, عالم الكتب, ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م), ج٢, ص٦٦٠؛ القلقشندي, ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤٩٦م), صبح الاعشى في صناعة الانشاء, ط (القاهرة, المؤسسة المصرية للتأليف, د.ت), ج١, ص٣١٨.

(٥) الحارثي, عبد الله بن ناصر سليمان, الاوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة, الثاني عشر والثالث عشر للميلاد, ط١ (بيروت, الدار العربية للمطبوعات, ٢٠٠٧م), ص١٤.

(٦) الصائغ, تاريخ الموصل, ج١, ص٣٢.

(٧) الصائغ, تاريخ الموصل, ج١, ص٤٢؛ ناجي, دراسات في تاريخ المدن, ص٣٨٤.

لكن الجغرافي ابن حوقل, ارجعها الى اصل عربي, وهي مشتقة من الوصل, على اعتبار الموصل موضع وصل بين شرق العراق وغربه وبين المشرق وبلاد الشام(١).

بينما الكتّاب الآراميون, يطلقون على الموصل بـ «الحصن العبوري او حصن عبورايا», اي الحصن الغربي, تمييزاً له عن الحصن الشرقي نينوى(٢), الموصل خضعت قبل الاسلام للساسانيين, واهتم بها الملك الساساني اردشير, فسميت بـ «نبو اردشير» اي «أردشير الجديدة»(٣).

واشار المقدسي الى ان العرب يسمونها «خولان»(٤), بينما اوضح لنا مدير متحف الموصل «سعيد الديوه جي» بأن الموصل سميت ايضاً بـ «موصل البيضاء», تبعاً لدورها المبنية بالجص والرخام, او لطلائها بالنورة البيضاء(٥).

وأشار لنا الموسوعة الجغرافي ياقوت الحموي الى ان الموصل, سميت «بالحدباء», لاحتداب في دجلتها وأعوجاج في جريانها(٦).

ومن الاسماء الاخرى التي عرفت بها تلك المدينة الجميلة هي تسمية «ام الربيعين», لأن الاراضي المحيطة بها تكسي بالخضرة والزرع مرتين بالسنة احداها في الربيع والاخرى في الخريف(٧).

تبين لنا بأن الموصل مدينة عريقة مبنية قبل الفتح الاسلامي للعراق واعادة بنائها في خلافة الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م), وهي على عكس باقي الامصار التي بناها المسلمون على اطراف الصحراء كالبصرة ١٤هـ/٦٣٥م, او الكوفة ١٧هـ/٦٣٨م, اللتان بنيتا من القصب ومن ثم من اللبن, الا ان الموصل كحال دمشق في الشام مبنية بالحجارة البيضاء, وتعد قاعدة الجزيرة الفراتية واشهر مدن الجزيرة الفراتية, وتبين لنا من خلال قراءة مادة المصادر والمراجع سواء التاريخية ام الجغرافية, بأن الموصل هي الجزيرة ما بين دجلة والفرات, لذا فقد كان يطلق على ارض الموصل والجزيرة, اسم الموصلان, كما اطلق على الكوفة والبصرة اسم البصرتان, وانشد فيها

---

(١) ابو القاسم محمد بن علي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٨٠م), صورة الارض, ط (ليدن, ١٩٣٨م), ص١٩٥.

(٢) الديوه جي, سعيد, الموصل في العهد الاتابكي, ط (بغداد, مطبعة شفيق, ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م), ص٥.

(٣) لسترنج, بلدان الخلافة, ص١١٥؛ الديوه جي, الموصل, ص٦.

(٤) شمس الدين محمد بن ابي بكر (ت ٣٩٠هـ/١٠٠٠م), احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم, ط٢, (ليدن, مطبعة بديل, ١٩٠٦م), ص١٤٦؛ لسترنج, بلدان الخلافة, ص١١٦.

(٥) تاريخ الموصل, ط (الموصل, طبع بمطبعة مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر, ١٩٨٢م), ج١, ص٢٣.

(٦) شهاب الدين ابي عبد الله بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م), معجم البلدان, ط١ (بيروت, دار احياء التراث, ١٩٩٧م), ج٣, ص١٢٤.

(٧) الصائغ, تاريخ الموصل, ج١, ص٥٧.

رجل من قبيلة طيء قصيدة كان مطلعها:

وبصرة الازد منا والعراق لنا والموصلان ومنا مصر والحرم[١]

وذكر لنا المستشرق لسترنج, الى ان الموصل بنيت على نصف شكل مستدير ترجع جذورها التاريخية الى ايام الدولة الاشورية[٢].

ورأى المؤرخ المختص بالدراسات التمدنية الدكتور عبد الجبار ناجي, الى ان تأسيس هذه القلعة «الموصل», كان لأمور استراتيجية, باعتبارها تقع مقابل نينوى عاصمة الاشوريين, حتى تقوم بمهمة رصد تحركات القوى المعادية لها من الجانب الغربي[٣].

التركيبة السكانية:

تميزت الديموغرافية السكانية في المدينة, بأنها خليط من عدة مكونات, عاشت بسلام وعملت على بناء حضارة عريقة في الموصل لاتزال قائمة رغم الظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها على مجرى التاريخ, حيث سكنها العرب والارمن والفرس والكورد[٤], واليهود والمسيح والمجوس والمسلمون, وقبل الفتح الاسلامي لها, كانت توجد فيها ملتان وهما: «المجوس الفرس», و»الجرامقة النصارى» على حد تعبير الجغرافي الحسن بن احمد بن يعقوب الهمذاني[٥], وسكنتها القبائل العربية, في خلافة الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٤هـ/ ٦٣٤-٦٤٥م), وأمر عليهم عرفجة بن هرثمة, الذي خطط الموصل ووسعها للقبائل العربية[٦], من بنو مذحج من ربيعة[٧], والأزد وبني زيد

(١) الازدي, ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت٣٣٤هـ/٩٥٤م), تاريخ الموصل, تح: احمد عبد الله محمود, ط١ (بيروت, دار الكتب العلمية, ٢٠٠٦م), ج٢, ص٢٢٦؛ ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج٩, ص٣٤٠.

(٢) بلدان الخلافة الشرقية, ص١١٦.

(٣) دراسات في تاريخ المدن, ص٣٨٢.

(٤) ابن حوقل, صورة الارض, ج١, ص٢١٥؛ لسترنج, بلدان الخلافة, ص١١٦.

(٥) ت (٣٤٤هـ/٩٥٥م), صفة جزيرة العرب, تح: محمد بن علي الحوالي, ط١ (صنعاء, مكتبة الارشاد, ١٩٩٠م), ص٢٤٧؛ الصائغ, تاريخ الموصل, ج١, ص٥١.

(٦) ابن الاثير, عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م), الكامل في التاريخ, ط (بيروت, دار صادر, ١٩٦٠م), ج٢, ص٢٥٧.

(٧) الهمذاني, صفة جزيرة العرب, ص٢٤٧.

واياد[١], وتغلب وبنو هلال وبكر وطيء[٢].

ومن اهم القبائل الكوردية والتركمانية, التي نزلت في الموصل, هي الهذبانية والحميدية واللارية[٣], ووصف لنا القزويني اهل الموصل بـ «واهلها اهل الخير, والمروءة والطباع اللطيفة في المعاشرة والظرافة»[٤].

تاريخ بنائها:

يرجع بناء الموصل الى عهد الاشوريين, لكن لم تعرف عندهم بهذا الاسم, بل سميت عندهم كما اشرنا في الصفحات السابقة بـ «الحصن العبوري» ولكن العرب المسلمين عندما فتحوها, اتخذت في البداية معسكراً للعمليات العسكرية, لتحرير بلاد الشام تبعاً لقرب المسافة, واهتم بها الخليفة عمر بن الخطاب, واعطى لها صفة الاستقلالية الادارية, وجعلها في مصافِ الامصار الاولى وعين عليها والياً للحرب, ووالياً للخراج, لكن تخطيطها كان على يد عرفجة بن هرثمة, حيث خطط فيها دوراً للقبائل العربية, واختط فيها المسجد الجامع ودار الامارة[٥].

الفتح الاسلامي:

كانت الموصل قبل الفتح الاسلامي خاضعة لسيطرة الروم البيزنطيين, وكان حاكمها يعرف بـ «الانطاق», فعندما دخل العرب الفاتحون في سنة ١٥هـ/٦٣٦م, بقيادة سعد بن ابي وقاص الى العراق, وخاضوا معركة القادسية, وحققوا نصراً كبيراً على الفرس الساسانيين, توجهوا لتحرير الجزء الشمالي من العراق الذي كان خاضعاً للسيطرة البيزنطية, بقيادة ربعي بن الافكل العنزي وعبد الله بن سوار في سنة ١٦هـ/٦٣٧م, وفتحوا الموصل بمساعدة قبائلها العربية التي ابتدعت الحيلة على قائد الجند البيزنطي «الانطاق», وسلموا المدينة الى الفاتحين المسلمين[٦].

(١) كحالة, عمر, معجم قبائل العرب, ط (بيروت, دار العلم للملايين, ١٩٦٨م), ج١, ص٥٣.

(٢) ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد الحضرمي, (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٤م), العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر, تح: خليل شحادة, ط٢ (بيروت, دار الفكر, ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م), ج٦, ص١١.

(٣) ابن حوقل, صورة الارض, ص١٦٥؛ الصائغ, تاريخ الموصل, ج١, ص٥١.

(٤) زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٤م) اثار البلاد واخبار العباد, ط (بيروت, دار صادر, د.ت), ص٣٩.

(٥) الازدي, تاريخ الموصل, ص٢٤٨؛ ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج٥, ص٢٢٤.

(٦) البلاذري, ابو الحسن بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م), فتوح البلدان, راجعة وعلّق عليه: رضوان محمد رضوان, ط

عين الخليفة عمر بن الخطاب في سنة ١٧هـ/٦٣٨م على الموصل الوالي عتبة بن فرقد السلمي[١], اهتم بها الخلفاء الامويون, نظراً لأهميتها الحربية والتجارية, فكانوا يولون اقدر الولاة عليها, ومنهم الوالي سعيد بن عبد الملك, الذي اتسم بحسن السيرة, فأطلق عليه اهل الموصل بـ «سعيد الخير», حيث عمرها واحاطها بسور ورصف طرقها بالحجارة[٢], فعدت مدينة الموصل ثاني الامصار الاسلامية التي احيطت بسور بعد المدينة المنورة.

ثم تولى ادارتها الوالي الحر بن يوسف (١٠٦-١١٣هـ/٧٢٤-٧٣١م), في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٢٤م), وهذا الوالي يعد اول والي عظم الموصل, ثم تولى ادارتها الوالي محمد بن مروان الذي جدد سور مدينة الموصل[٣].

في العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٧م) واجهت الموصل نكبة لثورة اهلها ضد محمد بن حول في سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م, فتولى ادارتها من قبل الخليفة ابو جعفر المنصور, الوالي اسماعيل بن علي العباسي, الذي ارجع الحياة الى الموصل[٤], ومن ثم خضعت لأسرة بنو حمدان العربية التي حكمتها لفترة طويلة, وازدهرت الموصل على ايديهم[٥].

يبدو لنا في ضوء مما سبق الى ان مدينة الموصل تكالبت عليها قوى متعددة, بحكم موقعها الجغرافي الذي يشرف على العراق, ويطل على بلاد الشام, لذلك لم يتخذها العباسيون مقراً ومركزاً لهم, في أبان اعلان دولتهم العباسية في العراق سنة١٣٢هـ, لكونها قريبة من اعدائهم الامويين في الشام.

(بيروت, دار الكتب العلمية, ١٩٧٨م), ص٢٦٤؛ الطبري, ابو جعفر محمد بن حرير (ت٣١٠هـ, تاريخ الرسل والملوك, تح: محمد ابو الفضل ابراهيم), ط (مصر, دار المعارف, ١٩٦٧م), ج٤, ص٣٥؛ الملاح, هاشم يحيى, الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة, ط (بيروت, دار الكتب العلمية, ١٩٧١م), ص٣٣٤-٣٣٥.

(١) ابن الاثير, اسد الغابة في معرفة الصحابة, ط (بيروت, دار الكتاب العربي, د.ت), ج٣, ص٣٦٦؛ الديوه جي, الموصل في العهد الاتابكي, ص٨٧.

(٢) البلاذري, فتوح البلدان, ص٣٢٧؛ ابن الاثير, الكامل, ج٦, ص٥٠.

(٣) ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج٨, ص١٩٦؛ الديوه جي, الموصل, ص١٠.

(٤) الديوه جي, الموصل, ص١٠.

(٥) المرجع نفسه.

- رؤية الجغرافيين المسلمين والمستشرقين

تنوعت اراء الجغرافيين المسلمين حول مدينة الموصل, تبعاً للعصور التي قصدوا إبانها مدينة الموصل او بالأصح الفترة الزمنية التي شاهدوا فيها هذه المدينة ومن بين هؤلاء الجغرافيين هو ابن حوقل الذي وصفها قائلاً: «فرضه لأذربيجان وارمينيا والعراق والشام»(١).

بينما المقدسي صرح عنها قائلاً: «بلد جليل حسن البناء, طيب الهواء, صحيح الماء, كبير الاسم, قديم الرسم, حسن الاسواق والفنادق»(٢), وجاء لنا ياقوت الحموي, الذي لا يقل شأناً عن سابقيه ولوحظ عليه الدقة التي يوصف بها المدن, حيث صور لنا الموصل قائلاً: «محط الركبان ومنها يقصد الى جميع البلدان, فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد الى اذربيجان»(٣).

اما القزويني فقد وضع بصمته في وصف الموصل قائلاً: «احدى قواعد الاسلام, رفيعة البناء ووسيعة الرقعة, محط رجال الركبان»(٤), وزارها الرحالة المغربي ابن بطوطة, ووصفها قائلاً: «مدينة عتيقة كثيرة الخصب, وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيمة الشأن»(٥).

اما المستشرق لسترنج فقد عبر عنها قائلاً: «الموصل على دجلة اجمل مدن ديار ربيعة»(٦), يبدو لنا واضحاً وصف ورؤية الجغرافيين في مدينة الموصل, فمنهم من وصف جغرافيتها واسواقها, ودور المناخ الذي اثر على صحة سكانها, بصورة ايجابية, ومنهم من وصف زراعتها وحضارتها العريقة, والبعض الاخر ركز على موقعها الذي يشرف على عدة مناطق مهمة.

- المساجد والاسواق في الموصل

عرفت مدينة الموصل بحضارتها الراقية التي لاتزال اطلالتها قائمة حتى الآن, فهي مدينة عريقة عاصرت عدة قوى كالآشوريين والبيزنطيين والحكم الاسلامي لذلك سوف نوجه ضوء قلمنا في دراسة المساجد التي بنيت في المدينة, وكان لها دور في خلق جيل متعلم ملماً بالدروس الاخلاقية

---

(١) صورة الارض, ص١٩٥.

(٢) احسن التقاسيم, ص١٣٨.

(٣) معجم البلدان, ج٥, ص٢٢٣.

(٤) آثار البلاد، ص٤٦١.

(٥) ابو عبد الله ابن محمد اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٩م), تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار, ط (بيروت, دار صادر, ١٩٩٢م), ج١, ص٨٢.

(٦) بلدان الخلافة, ص١١٤.

اولاً ومن ثم العلمية المتنوعة, ومن ثم ندرس المحرك الاساسي للحياة في المدينة على حد تعبير المدرسة الاستشراقية الروسية التي تعد الجانب المادي الاقتصادي هو المحرك للعالم الا وهو العامل الاقتصادي والذي سوف ندرس جانباً معيناً منه وهو «السوق».

المساجد:

تعد المساجد, البنية الاساسية في المدينة وأولى المعالم العمرانية فيها, بحيث كل والي او فاتح مسلم يتوجه الى فتح مدينة معينة عندما يكتمل من فتحها, يقيم فيها المسجد الجامع, الذي يقوم بدورين مهمين وهما اقامة الصلوات الخمسة والتدريس, ونالت مدينة الموصل حظها من هذا الدور, فأولى المساجد التي بنيت في الموصل, هو «المسجد الجامع», الذي اختطه الوالي عرفجه بن هرثمة واكتمل بناءه الوالي عتبة بن فرقد السلمي في سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م, وبني في وسط الموصل وشهد عدة عمليات من التعمير والتوسيع اثناء حكم الدولة الاموية, وصار يحتوي على ابواب عديدة, ويذكر لنا ياقوت الحموي, الى ان ذلك كلهُ, قد انجز خلال خلافة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ)[١].

وذكر لنا المستشرق لسترنج, الى ان المسجد الجامع, سمي بمسجد مروان الثاني تيمناً له[٢], وتعرض اثناء فترة الحكم العباسي, الى التحسينات والاضافات الجديدة, حيث وسعهُ الخليفة العباسي محمد المهدي, بعد اضافة ارض الاسواق المحيطة به الى بنائه الاصلي في سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م[٣].

وعرف هذا المسجد عند اهل الموصل بـ «المسجد العتيق او المسجد الاموي»[٤], وهذا المسجد هو المسجد الوحيد الذي تقام فيه صلاة الجمعة في الموصل[٥].

وبالإضافة الى المسجد الجامع الذي بني منذ حقبة الفتوحات في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب, بني مسجد آخر وهو الجامع النوري, الذي بناه السلطان الايوبي نور الدين محمود في سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م وعرف ايضاً بالمسجد الجامع الكبير[٦].

---

(١) معجم البلدان, ج٥, ص٢٢٣؛ ابن الاثير, الكامل, ج٩, ص٢٠٧؛ ناجي, تاريخ المدن, ص٤٠١.

(٢) بلدان الخلافة, ص١١٦.

(٣) الازدي, تاريخ الموصل, ص٢٤٨؛ ناجي, تاريخ المدن, ص٤٠١.

(٤) لسترنج, بلدان الخلافة, ص١١٥؛ ناجي, تاريخ المدن, ص٤٠١.

(٥) ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج٥, ص٢٢٤؛ ابن بطوطة, الرحلة, ج١, ص٨٢.

(٦) لسترنج, بلدان الخلافة الشرقية, ص١١٧.

وان كل من الرحالة ابن جبير (ت٦١٤هـ), والرحالة ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ), يشيران الى ان هناك جامعين, الجامع الجديد وهو الجامع الكبير, والجامع القديم وهو الجامع الاموي, حتى اضحى الجامع الكبير هو الجامع المركزي للمدينة(١).

اشار لنا ابن الاثير, الى ان المسجد الكبير بناهُ نور الدين بالقرب من السوق, وأوكل بناءه الى شيخه «معين الدولة عمر بن محمد الملا», واكتمل بناؤه في سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م(٢), وبلغت تكاليف بنائه ما يقارب ستون الف دينار, صرفها من الغنائم التي حصل عليها من الانتصارات التي حققها على نواحي الشام وفلسطين ضد الفرنجة الصليبيين, وبالغ في تزيينهُ بالزخارف والكتابات, كان بعضها في الرخام المطعم وبعضها في الجبس, وأوقف لهُ اوقافاً كثيرة لصيانته وادامته والصرف على من يتولى اموره(٣).

وهذا الجامع لم يزل الى اليوم من الجوامع المشهورة في العالم الاسلامي, وخاصة منارته المنحنية الى الشرق, والتي هي اطول منارة في العراق, يبلغ ارتفاعها ستين متراً, وهي مزينة بزخارف آجرية جميلة, ولها طريقان:

الطريق الاول من الارض, والطريق الثاني من القسم المنشورة (الكرسي), والطريقان لا يلتقيان داخل المنارة, وكلاهما يؤدي الى اعلاها(٤), وقبل هذا المسجد, كان هنالك المسجد الذي بناهُ الوالي الاموي سعيد بن عبد الملك, وسمي بمسجد عبيده نسبة الى مؤذنه(٥).

ومن الجوامع الاخرى التي بنيت في مدينة الموصل هو «الجامع المجاهدي», الذي شيدهُ ابو منصور قيماز بن عبد الله الزيني الملقب مجاهد الدين, وهو من اشهر رجال اتابكيه الايوبيين في الموصل(٦), جرت عليه التجديدات في سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م, على يد نقيب الموصل «حيدر بن النقيب محمد شرف الدين الحسيني»(٧).

---

(١) رحلة ابن جبير, ص٢١١؛ رحلة ابن بطوطة, ج١, ص٨٢؛ ناجي, دراسات في تاريخ المدن, ص٤٠٢.

(٢) الكامل, ج٦, ص٥٠.

(٣) الديوه جي, الموصل في العهد الاتابكي, ص١٣١.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) البلاذري, فتوح البلدان, ص٣٢٧؛ ابن الاثير, الكامل في التاريخ, ج٦, ص٥٠.

(٦) الديوه جي, الموصل في العهد الاتابكي, ص١٣١.

(٧) المرجع نفسه, ص١٣٤.

وذكر لنا لسترنج, الى ان في مدينة بعشيقة التابعة الى مدينة الموصل, جامع كبير حسن له مناره(١).

ومن المساجد الاخرى هي مسجد الرحماني او ما يسمى بمسجد الحكيم(٢), وكذلك مسجد عبد الحميد, ويعد من اقدم المساجد الصوفية السبعة في الموصل(٣).

الاسواق:

اشتهرت الموصل بكثرة وتعدد اسواقها وانتظام توزيعها, بحسب الحرف والتجارات, واشار لنا ابن حوقل, بأن اسواقها واسعة(٤), ثم ذكر المقدسي بأن اسواقها حسنة(٥).

كانت الاسواق قريبة من المسجد, واوضح لنا ذلك الازدي, بحيث روي الى ان الخليفة العباسي محمد المهدي, عندما اراد ان يوسع مسجد الموصل الجامع, ضم مساحة الاسواق اليه(٦).

ثم اشار لنا الازدي, الى ان الاسواق كانت تقع حول المسجد الجامع, وان كل باب من ابوابه مطل الى سوق او اصحاب حرفة او مهنة وهذه الاسواق, هي الاسواق الرئيسية في الموصل, لكنها لم تكن الوحيدة(٧).

ومن اشهر هذه الاسواق هي:

سوق الحر من جهة الشرق, ويرجع اسمه الى والي المدينة الاموي الحر بن يوسف, ويعرف بسوق الحصن(٨), وسوق القتابين, حيثُ عرف بهذا الاسم حتى القرن السادس الهجري, الثاني عشر الميلادي وهو اقدم الاسواق في الموصل(٩).

---

(١) المرجع نفسه, ص١١٩.

(٢) الديوه جي, تاريخ الموصل, ج١, ص٣٤٠.

(٣) سيوفي, نقولا, مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل, تح: سعيد الديوه جي, ط (بغداد, مطبعة شفيق, ١٩٥٦م), ص٩٤.

(٤) صورة الارض, ص١١٥.

(٥) احسن التقاسيم, ص١٣٨.

(٦) تاريخ الموصل, ص١٦٦.

(٧) تاريخ الموصل, ص٢٠٤.

(٨) الازدي, تاريخ الموصل, ص٣٦٣؛ لسترنج, بلدان الخلافة, ص١١٦.

(٩) الديوه جي, الموصل في العهد الاتابكي, ص١٢٤.

وسوق الشعارين, وكذلك سوق الاربعاء الذي كان يفتح في كل يوم اربعاء في الاسبوع[١], وسوق الحشيش, وكان هناك سوق للدواب يقع بالقرب من دور قريش, وايضاً هنالك سوق للطعام[٢], وسوق للدباغين وللجصاصين وللسراجين وسوق للبزازين[٣], وسوق الثمانين[٤].

وكذلك سوق نصيبين او ما يعرف بسوق العطارين واختص ببيع العقاقير والاعشاب والزهور المجففة والسكر[٥], ويوجد هنالك سوق التركمان, الذي كان يختص على فئة التركمان من التجار[٦],ونوه لنا لسترنج الى ان اكثر اسواقها مغطاة[٧].

قام الوالي اسماعيل بن علي العباسي, بنقل الاسواق ومقبرة الموصل, الى خارج المدينة على طرف الصحراء[٨], وذلك بهدف ابعاد الاسواق عن المسجد ودار الامارة لعوامل سياسية.

ولم يقتصر الامر على الاسواق كمحلات للنشاطات التجارية داخل المدينة, وانما ذكر لقيسارية في الموصل, شاهدها الرحالة ابن جبير في القرن السابع الهجري, الثالث عشر الميلادي, ووصفها بأنها كانت كبيرة وواسعة كالخان العظيم, ويحتوي على عدة بوابات حديدية تغلق ليلاً, وتحتوي هذه القيسارية على اسواق فرعية ومحلات في داخلها, تحتوي على دكاكين كثيرة للتجارة محيطة بها من الخارج[٩].

كذلك توجد قيسارية المسك الكبيرة, التي تبلغ عدد دكاكينها احدى عشر دكاناً في داخل المدينة[١٠], مما لاريب فيه, الى ان الموصل عرفت بتنوع اسواقها, وتعددها, وتزايد حجم عمليات البيع والشراء, والتبادل التجاري بين البلدان, وقد ابرز بالفعل اهمية الموصل جغرافياً, فصارت مدينة ترانزيت في عالم التجار, واصبحت محطة للقوافل التجارية المتوجهة شرقاً وغرباً[١١] , ومما لاريب

(١) لسترنج, بلدان الخلافة, ص١٢٤.
(٢) الازدي, تاريخ الموص, ص٣٦٣؛ ناجي, تاريخ المدن, ص٤٦.
(٣) ناجي, دراسات في تاريخ المدن, ص٤٠٦.
(٤) ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج٣, ص١٤.
(٥) ابن الاثير, الكامل, ج٩, ص٣٩٦.
(٦) الديو جي, الموصل في العهد الاتابكي, ص٣٤.
(٧) بلدان الخلافة الشرقية, ص١١٦.
(٨) الازدي, تاريخ الموصل, ص١٦٦؛ ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج٥, ص٢٢٤.
(٩) رحلة ابن جبير, ص١٨٨.
(١٠) ابن بطوطة, الرحلة, ج١, ص٨٢؛ الديوه جي, الموصل في العهد الاتابكي, ص١٢٥.
(١١) ناجي, دراسات في تاريخ المدن, ص٤٠٨.

فيه ان قرب الاسواق من المساجد يضفي على المدينة الصفة الروحية والمادية في آن واحد, وخاصاً مدينة الموصل التي توافد عليها التجار من كل ناحية, وكذلك الفقهاء والعلماء الذين قصدوا مدارسها, للدراسة وخاصة في العهد الايوبي الذي بزغت فيه العديد من المدارس, لذلك نشطت المساجد بإقامة الشرائع الاسلامية, وتدريس كافة العلوم, بحيث كان الطلاب والعلماء عند خروجهم لابد من المرور بالأسواق للتبضع, لذلك نشطت الاسواق بوجود المساجد.

الخاتمة

تبين لنا من خلال دراستنا لمدينة الموصل في الجانب العمراني (المساجد) والجانب الاقتصادي (السوق), الى انها مدينة عريقة عرفت منذُ العهود الاشورية بعمارتها وتجارتها المزدهرة, لأنها حلقة وصل ما بين العراق والشام واذربيجان وارمينيا على حد تعبير ياقوت الحموي.

وتشتهر المدينة بمسجدها الجامع الذي شيد منذُ عهد الخلافة الراشدة, وبالأخص في عهد الفتوح وكذلك اصبحت المدينة نقطة انطلاق الايوبيين في تحريرهم عكا والرها وبيت المقدس من ايدي الصليبيين وكذلك الاستيلاء على مصر واخذها من ايدي اخر الخلفاء الفاطميين (٢٩٦-٥٦٧هـ), وهو العاضد الفاطمي, وانهم بموجب الغنائم التي أخذوها من ايدي الفرنجة الصليبيين قاموا في بناء المسجد النوري الكبير, وزخرفته والذي بقي مناراً ساطعاً في الموصل, حتى مع الاسف راح ضحية العمليات العسكرية الارهابية ابان الاحداث التي عصفت بالعراق في سنة ٢٠١٥م, كذلك ان مدينة الموصل, نبغت في اسواقها التي قصدها التجار من كل صوب وحدب ووصفها الجغرافيين, ومنهم الرحالة الشريف الادريسي, حيث قال عنها: «اسواق عامرة, ومقاصد تجارات»[1]. تميزت اسواق المدينة, بتنوعها وتعددها وتخصصها حيث لكل حرفة سوق معينة كحال السوق الذي اقامة سيدنا محمد (عليه افضل الصلاة والسلام), في المدينة المنورة, وبقيت الاسواق على حالها, حتى العصر العباسي حيث نقلها الوالي اسماعيل بن علي العباسي لاعتبارات سياسية, لان قرب السوق من دار الامارة (دار الوالي), يعرض سياسة الدولة الى الخطر, لان السوق يقصدهُ الناس من كل صوب وحدب, وقد يكون من بين هؤلاء التجار او المشترين جواسيس بحكم موقع المدينة القريب من الشام, حيث اعداء العباسيين وهم الامويين, لذلك لابد من الاشارة الى ان للأسواق دور في ازدهار المدينة اقتصادياً, على اعتبار السوق هو المحرك لنهضة كل مدينة, فالاقتصاد يخلق الرفاهية ويحرك المظاهر الحضارية ومنها بناء المساجد, وزخرفتها وتجهيزها بكافة وسائل الراحة, على اعتبار ان الموصل يقصدها طلاب العلم والزهاد من كل ناحية, فلابد لهم من الاقامة في المساجد وعقد حلقات الدرس, لذلك علينا كمؤرخين ان نتحول لوضع معادلة رياضية تقتضي بـ: **الاسواق + المساجد = خلق عقلية فكرية ثرية**

---

(١) نزهة المشتاق, ج٢, ص٦٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الاثير, عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ/٢٣٢م).
- الكامل في التاريخ, ط (بيروت, دار صادر, د.ت).
- اسد الغابة في معرفة الصحابة, ط (بيروت, دار الكتاب العربي, د.ت).
- ابن جبير, ابو الحسين محمد بن احمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م).
- رحلة ابن جبير, ط (بيروت, دار صادر, د.ت).
- ابن حوقل, ابو القاسم محمد بن علي (ت ٣٨٠هـ/٩٨٠م).
- صورة الارض, ط (ليدن, ١٩٣٨م).
- ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٤م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر, تح: خليل شحادة, ط٢ (بيروت, دار الفكر, ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- الادريسي, ابو عبد الله بن ادريس الحسين (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م).
- نزهة المشتاق في اختراق الافاق, ط١ (بيروت, عالم الكتب, ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- الازدي, ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت٣٣٤هـ/٩٥٤م).
- تاريخ الموصل, تح: احمد عبد الله محمود, ط١ (بيروت, دار الكتب العلمية, ٢٠٠٦م).
- ابن بطوطة, ابو عبد الله ابن محمد اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٩م).
- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار, ط (بيروت, دار صادر, ١٩٩٢م).
- البلاذري, ابو الحسن بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
- فتوح البلدان, راجعهُ وعلَق عليه: رضوان محمد رضوان, ط (بيروت, دار الكتب العلمية, ١٩٧٨م).
- الحارثي, عبد الله بن ناصر سليمان.
- الاوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد, ط١ (بيروت, الدار العربية للمطبوعات, ٢٠٠٧م).
- الديوه جي, سعيد.
- الموصل في العهد الاتابكي, ط (بغداد, مطبعة شفيق, ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م).

- زقزوق, محمد حمدي.
- الاستشراق والخلفية الفكرية, ط (القاهرة, مؤسسة الرسالة, ١٩٨٥م).
- سيوفي, نقولا.
- مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل, تح: سعيد الديوه جي, ط (بغداد, مطبعة شفيق, ١٩٥٦م).
- الصائغ, القس سليمان.
- تاريخ الموصل, ط (مصر, د.ت).
- الطبري, ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).
- تاريخ الرسل والملوك, تح: محمد ابو الفضل ابراهيم, ط (مصر, دار المعارف, ١٩٦٧م).
- القزويني, زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ/١٢٨٤م).
- اثار البلاد واخبار العباد, ط (بيروت, دار صادر, د.ت).
- القلقشندي, ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤٩٦م).
- صبح الاعشى في صناعة الانشا, ط (القاهرة, المؤسسة المصرية للتأليف, د.ت).
- كحالة, عمر.
- معجم قبائل العرب, ط (بيروت, دار العلم للملايين, ١٩٦٨م).
- لسترنج, كي.
- بلدان الخلافة الشرقية, تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد, ط٢ (بيروت, مؤسسة الرسالة, ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- المقدسي, شمس الدين محمد بن ابي بكر (ت٣٩٠هـ/١٠٠٠م).
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم, ط٢ (ليدن, مطبعة بريل, ١٩٠٦م).
- الملاح, هاشم يحيى.
- الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة, ط (بيروت, دار الكتب العلمية, ١٩٧١م).
- ناجي, عبد الجبار.
- دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية, ط٢ (بيروت, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, ٢٠٠٩م).
- الهمذاني, الحسن بن احمد بن يعقوب (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م).

- صفة جزيرة العرب, تح: محمد بن علي الحوالي, ط١ (صفاء, مكتبة الارشاد, ١٩٩٠م).
- ياقوت الحموي, شهاب الدين ابي عبد الله بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
- معجم البلدان, ط١ (بيروت, دار احياء التراث, ١٩٩٧م).